جـامعة القاهرة
كليـة دار العـــلوم
قسم النحو والصرف والعروض

ظاهرة العدول في ضوء الاستعمال القرآني

دراســـة نحـــوية دلالـــية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد
عاطف على على عيد

إشراف

الأستاذ الدكتور
أحمد عبد العزيز كشك

الأستاذ الدكتور
محمد حماسة عبد اللطيف

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ على أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)

الإسراء / ٨٨

اعتماد لجنة الممتحنين

الإهداء

إلى روح والديّ .... تغمدهما الله برحمته

إلى ولديّ: مصطفى ومحمد

إلى شريكة حياتي التي أدين لها بالكثير....

إلى جميعهم أهدي هذا العمل

الشكر والتقدير

أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذيّ الجليلين:

الأستاذ الدكتور / أحمد عبد العزيز كشك

الأستاذ الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف

على ما أحاطاني به من عناية وتوجيه، وأسأل الله تعالى أن يجزيهما عني خير الجزاء.

وأتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذين الجليلين:

الأستاذ الدكتور / صلاح محمد مصطفى روّاي

الأستاذ الدكتور / محمد عبد الرحمن الريحـــاني

على تكرمهما بالموافقة على مناقشة هذا البحث.

كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان إلى كل من قدم يد العون والمساعدة، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور / عبد الحكيم راضي، والباحثة سارة شعبان. وأسأل الله أن يجزي الجميع عني خيرًا.

المقـــــــــدمة

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أوتي جوامع الكلم وعلى آله وصحبه والتابعين.....

أما بعد

فالقرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي تحدى به العرب أهلَ الفصاحة والبيان، فعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله، أنزله على نبيه وتكفل سبحانه بحفظه، قال تعالى: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [الحجر/٩]. ومن آيات حفظه أن بعض الألفاظ والعبارات في النص القرآني لم تساير الشائع المألوف من قواعد اللغة وأعرافها فجاءت مخالفة لتلك القواعد، وهو ما يسمى بالعدول، من ذلك قوله تعالى: **(وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ)** [ق/٤١] حيث حذفت الياء من الفعل المعتل (يناد) ومن الاسم المنقوص (المناد) والأصل حسب قواعد اللغة عدم الحذف. ومنه قوله تعالى: **(إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالا وَسَعِيرا)** [الإنسان/٤] حيث جاءت كلمة (سلاسلًا) منونة، والأصل عدم التنوين.

فبقاء هذا العدول في النص القرآني على حاله منذ نزوله يعدُّ برهانًا ساطعًا على أن ذلك الكتاب لم تمسسه يد بشر بتبديل أو تغيير، خاصة أن مثل هذا العدول، والذي يتمثل في حذف حرف أو زيادة حرف، من الممكن أن يكون مغريًا للبعض ـ بدافع الحرص على سلامة النص القرآني والخوف من أن يوجه إليه طعن ـ بأن يُعدّلوه ليكون وفق قواعد اللغة، فهو من ناحية سهل التعديل إذ لن يكلف تعديله سوي إضافة حرف أو حذف تنوين، وهو من ناحية أخري يعد في غير القرآن من الخطأ، لكن ذلك لم يحدث ولن يحدث حتى قيام الساعة؛ ليكون فتنة للذين كفروا ويزداد الذين آمنوا إيمانًا.

كذلك فإن من عجائب النص القرآني اللغوية أنه يحتمل ما لا يحتمله غيره، من ذلك ـ مثلًا ـ أنه لا يستساغ في العربية توالي الأمثال لصعوبة النطق، ولذلك تحذف نونٌ عند توكيد الفعل المضارع المسند لواو الجماعة بالنون الثقيلة ويقال في ذلك: حذفت كراهة توالي الأمثال. ويلاحظ أن عدد الأمثال التي كُره تواليها هنا كان ثلاثة، وفي القرآن الكريم توالت الميم ليس ثلاث مرات وإنما ثماني مرات في قوله تعالى: **(يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ)** [هود / ٤٨]. فكلمة (أممٍ) ثلاث ميمات بقلب التنوين ميمًا، وحرف الجر (مِن) واسم الموصول (مَن) أربع ميمات بقلب النون فيهما، ثم ميمُ (معك)، فهذه ثماني ميمات متتاليات متتابعات تنطق دون أدنى صعوبة. ويقول الشيخ الأمير: «وعدم مَجّ السمع لمثل هذا من العجائب المختصة بالقرآن»[1].

(1) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القسم الثالث، ٨ / ٤، ٥.

ورغم ذلك لم يسلم القرآن الكريم من توجيه الطعن إليه، فيذكر ابن قتيبة أن كتاب الله قد اعترضه «بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا... ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة في اللحن وفساد النظم والاختلاف»[1]. فنهض فريق من العلماء يدرؤون عنه ويفندون هذه المزاعم ويحتجون لسلامة العبارة القرآنية، فكثرت المؤلفات في معاني القرآن وإعرابه ومشكله ومتشابهه ومجازاته، واتجهت بعض التفاسير إلى الاهتمام بالجانب اللغوي، هذا فضلًا عن كتب النحو والبلاغة التي تناول كثيرًا من صور العدول المختلفة. وهناك في العصر الحديث كثير من الدراسات التي تناول كل منها طرفًا من الظاهرة، ولكن مع كثرة هذه الدراسات لم تظفر ظاهرة العدول في النص القرآني بدراسة مستقلة، رغم أهمية دراسة هذه الظاهرة، الأمر الذي كان من أهم الأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع والذي جاء بعنوان: «**ظاهرة العدول في ضوء الاستعمال القرآني**» دراسة نحوية دلالية.

ونظرًا لكثرة صور الظاهرة وتعدد مستوياتها فقد اختص هذا البحث بدراسة الظاهرة على مستوى التركيب.

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد وتعقبها خاتمة. كان الفصل الأول بعنوان: العدول في الفكر النحوي، وتناول: نظرة النحاة إلى العدول، والأساس الذي قامت عليه القاعدة، وموقف النحاة من النصوص المخالفة للقواعد، وموقفهم من العدول في القراءات القرآنية، ودفاعهم عن العدول في النص القرآني.

وجاء الفصل الثاني بعنوان: مظاهر العدول في النص القرآني، وتناول الظواهر التالية: الزيادة ـ الحذف ـ الفصل والاعتراض ـ العدول عن أصل الرتبة ـ العدول في النوع ـ في العدد ـ في التعريف والتنكير ـ في العلامة الإعرابية.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: دلالة العدول في النص القرآني، وتناول دلالة العدول في الزيادة والحذف والفصل وغيرها من الظواهر التي تناولها الفصل الثاني. ثم جاءت في نهاية الدراسة خاتمة موجزة مشفوعة بقائمة المصادر والمراجع.

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد والعفو عما بدا من تقصير أو أخطاء وأن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا إنه نعم المولي ونعم النصير.

(1) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، عيسي البابي الحلبي، ١٩٥٤م، ص١٧.

التمهـــــــيد

تمهيد

أ ـ مصطلح (العدول):

يعد (العدول) من المصطلحات الشائعة في التراث اللغوي، إذ نجده يتردد كثيرًا في مصنفات القدماء، من ذلك قول ابن جني: «ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدولُ عن معتاد حاله»[١].

ولا يختلف معنى (العدول) في الاصطلاح عن معناه في اللغة، ففي لسان العرب: «عدل عن الشيء يعدل عدلًا وعدولًا: حاد»[٢]، ويذكر التهانوي أن معنى (العدول) عند النحاة: «هو خروج الاسم عن صيغته الأصلية ـ تحقيقًا أو تقديرًا ـ إلى صيغة أخري»[٣]. ويعرفه د.تمام حسان بأنه «خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة، ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرًا من الاطراد رقي بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس علىها»[٤].

ويُبيّن د.تمام أن النحاة ذهبوا إلى أن لكل من الكلمة والجملة أصلَ وضع مُتخيَّل، وأن العدول يكون بمجيء الكلمة أو الجملة على نحو مخالف لهذا الأصل. فالفعل (قال) ـ مثلًا ـ أصلُ وضعِه (قَوَل)، وعُدِل عن هذا الأصل إلى (قال)[٥]، أما بالنسبة للجملة فإن أصلَ وضعها «نمطٌ خاص تتحق به الإفادة، وهذا النمط في الجملة الاسمية مبتدأ وخبر، وفي الفعلىة فعل متقدم يتلوه فاعل أو نائب فاعل»[٦]، يضاف إلى ذلك «أصول أخري، مثل: الذكر والإظهار والوصل والتضام والربط إلى جانب الرتبة والعامل.... إلخ. فتلك حزمة من الأصول التي تتضافر فيتكون منها وضع الجملة. ويمكن للعدول عن أصل وضع الجملة أن يكون بالعدول عن أي واحد من هذه الأصول بواسطة الحذف أو الإضمار أو الفصل أو تشويش الرتبة بالتقديم والتأخير أو التوسع في الإعراب»[٧].

ويفرق د.تمام بين الترخص والعدول، بأن الترخص مغامرة فردية للفصيح من العرب القدماء لو تكررت من المعاصرين لعُدَّتْ من قبيل الخطأ، أما العدول فهو مورد من موارد التأنق في الأسلوب وَرَدَه مَنْ شاء في القديم ويرده من يشاء في يومنا هذا[٨]. لكن عند دراسة النص يبدو أنه من الصعب التفريق بين مواضع الترخص ومواضع العدول، خاصة أن د.تمام كان أحيانًا

---

(1) الخصائص، ابن جني (أبو الفتح عثمان)، تحقيق محمد على النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة الذخائر ـ ١٤٨)، القاهرة، ٢٠٠٦، ج٣، ٢٦٧. وانظر: الكتاب ٢٢٤/٣ (هارون)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٨/٢، الكشاف ٢ / ٢٢١، الإنصاف في مسائل الخلاف ٧٠/١ (المسألة التاسعة)، البحر المحيط ١٧٢/٥.

(2) لسان العرب لابن منظور، دار المعارف، القاهرة، الجزء الرابع، ص٢٨٤١.

(3) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي (محمد علي بن علي)، تحقيق: أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٩٨م، ٣ / ٢٩٠.

(4) البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان،مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج٢، ص٧٧.

(5) الأصول: دراسة ايبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، د.تمام حسان، الطبعة الأولى، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٣٣.

(6) المرجع السابق، ص١٤٧.

(7) المرجع السابق، ص١٤٨.

(8) البيان في روائع القرآن، ٢ / ٧٧.

يستشهد بالآية في الترخص ثم يَسْتشهد بها هي نفسها مرة أخرى في العدول، ومحل الشاهد واحد في الموضعين[١]، لذا لم يفرق هذا البحث بين الترخص والعدول، وتعامل مع كل انحراف على أنه عدول.

ولمصطلح (العدول) في التراث مرادفات كثيرة مستخدمة لذات الدلالة منها: الصرف والنقل والتحويل[٢] والانحراف[٣]. وذهب البعض إلى أن من هذه المصطلحات المرادفة مصطلح (الالتفات)، يقول العلوي: «ولا شك أن الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها، ومعناه في مصطلح علماء البلاغة هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب ومن خطاب إلى غيبة»[٤]. ويقول الزركشي: «وجعل بعضهم من الالتفات قوله تعالى: **(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ)** ثم قال: **(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ)**[٥]، وقوله: **(وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)**[٦]»[٧].

ومن المصطلحات المرادفة أيضًا مصطلح (المجاز)، فقد كان يستخدم قديمًا للإشارة إلى ظاهرة التحول الأسلوبي، ففي كتاب «مجاز القرآن» نجد كثيرًا من ألوان تلك الظاهرة مندرجًا تحت مصطلح المجاز[٨]، من ذلك قول أبي عبيدة: «ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى الواحد على الجميع قال:**(يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً)**[٩] في موضع (أطفالًا)... ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد قال: **(وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)**[١٠] في موضع ظهراء»[١١].

---

(1) انظر على سبيل المثال ـ في كتابه (البيان في روائع القرآن) ١ / ٢٣٦، و٢ / ١٠٥ حيث استشهد في الموضعين بقوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً)[البقرة / ٤٨] على حذف الرابط. و١ / ٢٥١، و٢ / ١١٩ حيث استشهد في الموضعين بقوله تعالى: (وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) [هود / ١١١]، على عدم دخول (لما) على المضارع.

(2)انظر: الأسس المنهجية للنحو العربي، د.حسام أحمد قاسم، القاهرة، دار النصر للتوزيع والنشر، ٢٠٠٥م، ص٢٤٠. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د.حسن طبل، دار الفكر العربي، ١٩٩٨م، ص١١.

(3) انظر:المحتسب، ابن جني (أبو الفتح عثمان) تحقيق على النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٩م، الجزء الأول، ص١٤٥. نظرية اللغة في النقد العربي، د.عبد الحكيم راضي، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٣م، ص١٩٣.

(4) الطراز: المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي (يحيى بن حمزة)، تقديم د.إبراهيم الخولي، الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة الذخائر، ١٨٧) ٢٠٠٩م، الجزء الثاني، ص١٣٢.

(5) البقرة / ١٧٧.

(6) النساء / ١٦٢.

(7) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله) تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٨٢٧.

(8) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د.حسن طبل، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٢.

(9) غافر / ٦٧.

(10) التحريم / ٤.

(11) مجاز القرآن، أبو عبيدة (مَعْمر بن المثني التميمي)، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، الجزء الأول، ص٩، ١٠.

والعدول ـ كما يقول د.تمام ـ إما أن يكون مطردًا أو غير مطرد، فإن كان غير مطرد فالنحاة يسمونه (شاذًا) أو (ضرورة) أو (قليلًا) أو (نادرًا) أو (خطأ). ويرى أن كل ذلك يمكن تفسيره بفكرة (الترخص عند أمن اللبس) [1].

وللعدول مرادفات أخرى في الدرس اللغوي الحديث، منها: الانزياح، التجاوز، الاختلال، الإطاحة، المخالفة، الشناعة، الانتهاك، خرق السنن، العصيان[2].

ب ـ أنواع العدول في القرآن الكريم:

تعد ظاهرة العدول من أوسع الظواهر انتشارًا في النص القرآني، إذ يمكن ملاحظتها لا على مستوي بنية الكلمة أو التركيب فقط وإنما على مستويات أخري عديدة، منها:

العدول عن وحدة السياق:

إن المتأمل في السياق الذي جاء فيه قوله تعالى: **(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)**[3] يلاحظ أن هاتين الآيتين كأنهما تعترضان مسار السياق، فالحديث قبلهما وبعدهما يتناول موضوعًا واحدًا، وهو ذكر أحكام الأسرة من زواج وطلاق وعدة وغير ذلك، الأمر الذي يثير التساؤل عن علة العدول عن ذكر أحكام الأسرة إلى الأمر بالمحافظة على الصلاة ثم العدول مرة أخرى إلى الحديث الأول.

وقد بيَّن أبو حيان الحكمة من هذا الاعتراض بأن المولى سبحانه قد أوجب على كلٍّ من الزوجين للآخر ما يستفرغ فيه الوقت ويبلغ منه الجهد، فهذه التكاليف العظيمة قد تشغل المرء عن العبادة وأداء الصلوات «فكأنه قيل: لا يشغلنكم التعلق بالنساء وأحوالهن عن أداء ما فرض الله عليكم، فمع تلك الأشغال العظيمة لا بد من المحافظة على الصلاة حتى في حالة الخوف»[4].

ونقف كذلك على هذا النوع من العدول في سورة القيامة مع قوله تعالى: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)**[5] فهذه الآيات الأربع التي توجه فيها النهي إلى النبي ﷺ بعدم التعجل في التلقي من الوحي تبدو كأنها تقطع وحدة السياق وتعترض مساره، فالسورة كلها قبل هذه الآيات وبعدها قد خلصت للإخبار عن أحوال يوم

(1) الأصول، د.تمام حسان، ص١٤٨، وانظر اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، ص٢٣١ وما بعدها.
(2) الأسلوبية والأسلوب، د.عبد السلام المسدي، دار سعاد الصباح، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٠٠، ١٠١.
(3) البقرة / ١٣٨، ١٣٩.
(4) البحر المحيط، أبو حيان (محمد بن يوسف)، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، الجزء الثاني، ص٢٤٨.
(5) القيامة / ١٦ـ ١٩.

القيامة وتأكيد حقيقته، الأمر الذي دعا بعض قدماء الروافض إلى الزعم بأن القرآن قد غُيّر وبُدّل وزيد فيه ونقص منه[1].

وقد أفاض د.حسن طبل في بيان أن هذه الآيات الأربع ليست استطرادًا تعوزه وسائل الاتصال بالسياق، بل هي خيط أصيل في نسيجه ولبنة أساسية من لبنات بنائه المحكم، فالمناسبة بين نهي النبي ﷺ عن التعجل بالقرآن وسياق سورة القيامة أن البواعث النفسية إلى تعجله ﷺ ترجع إلى تعجّل الكفار ليوم القيامة وما يلقيه على صدره من هَمٍّ وأسى، «فكأن تعجله بالقرآن قد كان بمثابة رد فعل لتعجلهم لهذا اليوم الذي يمترون فيه، تشوقًا منه إلى مزيد من الوحي السماوي لعله يتلقي ما يدعمه في استئصال بواعث هذا المراء من نفوسهم»[2].

العدول في الفاصلة القرآنية:

يلاحظ كثيرًا في النص القرآني العدول عن فاصلة إلى فاصلة أخري كما في سورة مريم، فالفاصلة في أول السورة حتى الآية الثالثة والثلاثين ياء مفتوحة (فريًّا ـ بغيًّا ـ صبيًّا) ثم تتغير الفاصلة بعد ذلك حتى الآية الأربعين (يمترون ـ فيكون ـ مستقيم) ثم تعود الفاصلة الأولي مرة أخرى (نبيًّا ـ شيئًا). ويبدو أن الحكمة من وراء هذا العدول لفت الانتباه إلى قضية هامة، فالله لا إله غيره واحد لا شريك له، وسيدنا عيسي عبدٌ لله يُولد ويَموتُ ويُبعث، ومن ادَّعي ألوهيته فالويل له يوم القيامة. فالعدول هنا كان من أدوات التنبيه على خطورة هذه المسألة.

(1) البحر المحيط ٨ / ٣٧٩.

(2) حول الإعجاز البلاغي للقرآن: قضايا ومباحث، د.حسن طبل، الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ٢٠٠٥م، ص١٢ وما بعدها.

العدول عن صريح الحكم:

من ذلك قوله تعالى: **(وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرا إلى الله وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ على الله)**[1] فقد عدل «عن ذكر مقدار الجزاء والثواب، وذكر ما هو معلوم مشترك بين جميع أعمال البشر تفخيمًا لمقدار الجزاء لما فيه من إبهام المقدار... فصار السّكوت عن مرتبة الثواب أبلغ من ذكرها»[2].

العدول عن الىقين إلى الشك:

من ذلك قوله تعالى: **(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعلى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)**[3] فالنبي ﷺ يعلم يقينًا أن فريق المؤمنين على الهدي وأن المشركين على الضلال، «لكنه أخرج الكلام مخرج الشك، تغاضيًا ومسامحة ولا شك عنده ولا ارتياب»[4].

العدول المعجمي:

من ذلك قوله تعالى: **(قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إلى الله وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا)**[5] والقياس أن تأتي: والله يسمع جدالكما، فعدل عن الجدال إلى التحاور. وقوله تعالى: **(وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ)**[6] ولم يقل: وهو أعلم بما يعملون.

وقوله تعالى: **(فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاما)**[7] ولم يقل: إلا خمسين سنة. وقوله تعالى: **(وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ برُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ)**[8] عدل عن الاستهزاء إلى السخرية.

العدول عن الحقيقة إلى المجاز[9]:

من ذلك قوله تعالى: **(أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ)**[10] فقد «عبّر عن الإيجاب والقبول بالعقدة التي تعقد حقيقة؛ لما في ذلك القول من الارتباط لكل واحد من الزوجين بالآخر»[11].

وقوله تعالى: **(فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارا يرِيدُ أن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ)**[1] حيث أسندت الإرادة إلى الجدار، وقال أبو حيان: «وإسناد الإرادة إلى الجدار من المجاز البليغ والاستعارة البارعة»[2].

---

(1) النساء / ١٠٠.
(2) البرهان في علوم القرآن، ص٨٧٩.
(3) سبأ / ٢٤.
(4) البرهان في علوم القرآن، ص٨٧٨.
(5) المجادلة / ١.
(6) الزمر / ٧٠.
(7) العنكبوت / ١٤.
(8) الأنبياء / ٤١.
(9) انظر البحر المحيط ٢ / ٢٤٨
(10) البقرة / ٢٣٧.
(11) البحر المحيط ٢ / ٢٤٨.

العدول عن التصريح إلى الكناية:

من ذلك قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ)**[٣] كناية عن آدم عليه السلام [٤]، وقوله تعالى: **(وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرا)**[٥]، قال أبو حيان: «السر ضد الجهر، ويُكنى به عن الجماع حلاله وحرامه»[٦]. وقوله تعالى: **(وَيَوْمَ يَعُضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ)**[٧].

العدول اللغوي:

ويكون ذلك على مستوي المفرد وعلى مستوي التركيب. ومن العدول على مستوى المفرد:

العدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل ومنه قوله تعالى: **(فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ)**[٨] أي: مرضية[٩]،وقوله تعالى: **(خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ)**[١٠] أي: مدفوق[١١]. ويقول الفراء: «والعرب تقول: هذا ليل نائم وسر كاتم وماء دافق، فيجعلونه فاعلًا وهو مفعول في الأصل، وذلك أنهم يرىدون وجه المدح أو الذم»[١٢].

والعدول عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول، ومنه قوله تعالى: **(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابا مَّسْتُورا)**[١٣]. قال الزجاج: «قال أهل اللغة: معنى (مستورًا) ههنا في موضع ساتر»[١٤].

والعدول عن المصدر إلى اسم المصدر، ومنه قوله تعالى: **(وَيرِيدُ الشَّيْطَانُ أن يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدا)**[١٥] والقياس: (يضلهم إضلالًا). وقوله تعالى: **(وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضا حَسَنا)**[١٦] والقياس: (إقراضًا حسنًا).

---

(1) الكهف / ٧٧.
(2) البحر المحيط ٦ / ١٤٣.
(3) الأعراف / ١٨٩.
(4) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين بن محمد بن عبد الله)، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، ٢٠٠٦م، دار الحديث، القاهرة، ص٥٠١.
(5) البقرة / ٢٣٥.
(6) البحر المحيط ٢ / ٢٣٦، وانظر البرهان في علوم القرآن، ص٥٠٢.
(7) الفرقان / ٢٧.
(8) الحاقة / ٢١.
(9) انظر البحر المحيط ٨ / ٣١٩.
(10) الطارق / ٦.
(11) انظر البحر المحيط ٨ / ٤٤٩.
(12) معاني القرآن، الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الثالثة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج٣، ص١٨٢.
(13) الإسراء / ٤٥.
(14) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (أبي إسحاق إبراهيم بن السّريّ)، شرح وتحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج٣، ص١٩٨. وقال أبو حيان: «والظاهر إقرار (مستورًا) على موضوعه من كونه اسم مفعول، أي مستورًا عن أعين الكفار فلا يرونه، أو مستورًا به الرسول عن رؤيتهم». البحر المحيط ٦ / ٣٩.
(15) النساء / ٦٠.
(16) المائدة / ١٢.

ومن العدول على مستوي المفرد أيضًا:

ـ التغيير في بنية الكلمة[1] كما في قوله تعالى: **(أَفَمَن يَهْدِي إلى الحَقِّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إلاَّ أن يُهْدَي)**[2] إذ تحول الفعل (يهتدي) إلى صورة أخري هي (يهدّي). وقوله تعالى: **(مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ)**[3] إذ جاء الفعل (يختصمون) على صورة (يخصمون). وقوله تعالى: **(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ)**[4] بدلًا من طور سيناء.

ـ أو حذف بعض حروف البنية كما في قوله تعالى: **(أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)**[5]. وقوله تعالى: **(وَلَهُ الجَوَارِ المُنشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلاَمِ)**[6] إذ حذفت لام الكلمة في كلٍّ من: (الداع)، و(الجوار).

ـ أو زيادة بعض حروفها كما في قوله تعالى: **(سَلاَمٌ على إِلْ يَاسِينَ)**[7]إذ يوضح السياق أن الحديث عن (إلياس).

ـ أو إبدال حرف مكان حرف كما في قوله تعالى: **(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكا وَهُدًي لِّلْعَالَمِينَ)**[8] إذ عُدل عن (مكة) إلى (بكة).

ـ أو إيجاد صورة للبنية غريبة على الشائع من الاستعمال كما في قوله تعالى: **(وَمَكَرُوا مَكْرا كُبَّارا)**[9] وقوله تعالى: **(إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)**[10].

أما العدول على مستوى التركيب فهو ما تكفَّل هذا البحث بدراسته.

---

(1) البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان، طبعة عالم الكتب لمشروع مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٣١، ٢٣٢.
(2) يونس / ٣٥.
(3) يس / ٤٩.
(4) التين / ١، ٢.
(5) البقرة / ١٨٦.
(6) الرحمن / ٢٤.
(7) الصافات / ١٣٠.
(8) آل عمران / ٩٦.
(9) نوح / ٢٢.
(10) ص / ٥.